التواصل الثقافي بين المغرب والسودان وتأثيره في تعزيز الهوية السنية

الدكتور/ محمد عبد الله موسى ابراهيم
أستاذ مساعد بكلية الدعوة الإسلامية
جامعة أم درمان الإسلامية - السودان

mohamad.ama1971@gmail.com

الإطار العـــــام للبحث

مقدمة:

تعد العلاقة بين المغرب ومجاله الأفريقي ذات أبعاد حضارية وعلاقات ثقافية تاريخية ممتدة، والسبب في هذا ثراء الحياة العلمية والفكرية التي قامت بالمغرب في صدر الدعوة الإسلامية، وفي ضوء ذلك نجد العلاقات السودانية المغربية تمثل حالة خاصة من حالات التواصل بين المجموعات البشرية فهي تعبير في الأساس عن هذا الانتماء الحضاري العريق.

أولا: أهمية البحث: ويكتسب البحث أهميته في إبرازه معالم التواصل الثقافي وتأثيره في تعزيز الهوية السنية للمجتمع السوداني وذلك من خلال الإشارة إلى البعد المغربي ومدى تأثيره الثقافي والعلمي في تعزيز هذه الهوية. مما يلفت أنظار الباحثين ويدفع بهم نحو مزيد من التلاقح والتفاعل معها.

ثانيا: أهداف البحث: تهدف الدراسة لتحقيق الآتي:-

1- بيان تأثير البعد المغربي في تعزيزه للهوية السنية للمجتمع السوداني
2- العوامل التي أسهمت في الحضور المغربي بالسودان
3- إبراز تأثير التراث العلمي المالكي ومواجهته لأهل الأهواء
4- إبراز نتائج التواصل الثقافي المغربي وتأثيره في تشكل الهُوية الدينية للمجتمع السوداني

ثالثا: مشكلة البحث:

إن مشكلة البحث تنبثق من أهمية الموضوع المراد معالجته ويمكن طرح المشكلة انطلاقاً من الأسئلة الآتية:-

1- ما تأثير البعد المغاربي في تعزيز الهوية السنية للمجتمع السوداني؟
2- ما العوامل التي أسهمت في الحضور المغاربي بالسودان؟
3- كيف واجه التراث العلمي المالكي أهل الأهواء؟
4- ما تأثير التواصل الثقافي المغربي على تشكل الهُوية الدينية للمجتمع السوداني؟

رابعا: منهج البحث:

يعتمد الباحث المنهج الوصفي التحليلي والاستقرائي والتاريخي ليصل إلى الإجابـــة عن تلك الأسئلة.

خامسا: هيكلة البحث:

المبحث الأول : البعد المغاربي وتأثيره في نشأة الحياة العلمية بأفريقية – ملامح عامة

المبحث الثاني: العوامل التي أسهمت في الحضور المغاربي بالسودان

المبحث الثالث: التراث العلمي المالكي ومواجهته لأهل الأهواء بالمغرب العربي

المبحث الرابع: نتائج التواصل الثقافي المغربي وتأثيره في تشكل الهُوية الدينية للمجتمع السوداني

مستخلص البحث

يهدف هذا البحث إلى إبراز جهود التواصل الثقافي بين السودان والمغرب انطلاقاً من تسليط الأضواء على الحركة العلمية التي نشأت بالمغرب في صدر الدعوة الإسلامية والتي تميزت بالتواصل والانفتاح على الآخرين وقد كان من أبعاد هذا التواصل الثقافي والعلمي تأثيره الواضح في تحديد معالم الهوية الدينية للمجتمع السوداني، ويكتسب البحث أهمية من خلال تركيزه على بعض العوامل التي أسهمت في تحديد هذه الهوية وتعزيزها، حيث إن الحركة العلمية والفكرية كانت خالية من المذاهب العقدية المنحرفة وخالية من نظريات التعمق الفلسفي وتميزت هذه الحياة العلمية بتعدد الجهات التي ساعدت في إثرائها وكان للتواصل العلمي المغربي ميزة على غيره فقد جمع بين التأثير الفقهي والصوفي، واعتمد الباحث المنهج الوصفي التحليلي والاستقرائي والتاريخي لمعالجة الموضوع ، وقد خلصت الدراسة إلى عدد من النتائج من أبرزها:-

1- أصبح المغرب مركزاً من مراكز الحضارة الإسلامية في وقت مبكر من صدر الدعوة الإسلامية
2- رحل طلاب العلم من الآفاق إلى المغرب ومنه انطلق الدعاة لنشر رسالة الإسلام إلى مختلف النواحي.
3- تأثر السودان باتجاهات المعرفة المغربية المستندة إلى الاحتفاء بالمذهب المالكي
4- من العوامل التي عززت التواصل المغربي السوداني مفهوم الاستطاعة لحج بيت الحرام فقد كان له تأثير في تعزيز هذا التواصل.
5- عندما ازدهرت الحركة العلمية بالسودان كانت على وعي بحقيقة المذاهب المخالفة لأهل السنة
6- أسهم التواصل الثقافي المغربي في تعزيز الهوية السنية للمجتمع السوداني.
7- كان لمواقف علماء المالكية تجاه أهل الأهواء التأثير الكبير في من تتلمذ على تراثهم بالسودان.

تمهيد: التعريف بالهوية السنية

أولاً: مفهوم الهوية في اللغة:

الهوية في اللغة :بضم الهاء و ياء النسبة هي عبارة عن التشخّص وهذا أحد معانيها وقد ذكر أن (الأمر المتعقل من حيث انه معقول في جواب ما هو يسمّى ماهية، و من حيث ثبوته في الخارج يسمى حقيقة، و من حيث امتيازه على الاغيار يسمى هوية، و من حيث حمل اللوازم عليه يسمّى ذاتاً).[1] والأصل في السؤال عن هوية الشيء أن تكون الإجابة مشتملة على العناصر والخصائص التي تميز هذا الشيء عن غيره.

فالهوية هي المفهوم الذي يكونه الفرد عن فكره وسلوكه اللذين يصدران عنه من حيث مرجعهما الاعتقادي والاجتماعي ، وبهذه الهوية يتميز الفرد ويكون له طابعه الخاص، وكما أن للفرد هوية فكذلك للمجتمع والأمة هوية مستقلة تتميز بها عن غيرها[2]

ثانياً: مفهوم الهوية السنية:

يرتكز مفهوم الهوية السنية على اعتبار أن السنة النبوية تعد من مصادر الوحي التي تنبني عليها الأحكام الشرعية التكليفية، فكل من اعتمد السنة وجعلها مصدرا للتلقي والتشريع على النحو الذي قرره علماء الحديث يدخل في هذا المفهوم ، وهذا يعني أن تفصيل المصطلح ليوافق جماعة بعينها ليس بصحيح لأن الأمر أوسع من ذلك بكثير، ولعل من التعسف عدم مراعاة الاختلاف للفهم المعتبر في نظرته لبعض النصوص ورمي صاحبه بالخروج عن مظلة السنة لمجرد هذا الاختلاف، يقول أبو الحسن الأشعري وهو يشير إلى مساحة القبول التي يجب أن تكون واسعة بين المكونات التي رضيت بالسنة وحكمتها في الاستلال : (إني لا أكفر أحدا من أهل القبلة، لأن الكل يشيرون إلى معبود واحد، وإنما هذا كله اختلاف العبارات. يقول الذهبي: (وبنحو هذا أدين، وكذا كان شيخنا ابن تيمية في أواخر أيامه يقول: أنا لا أكفر أحداً من الأمة، ويقول: قال النبي ﷺ :"لا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن[3] "فمن لازم الصلوات بوضوء فهو مسلم.)[4] وهذا يدل على أن اعتماد البعض لمعايير ضيقة في تحديد النسبة إلى الهوية السنية أمر فيه نظر. ولا يلزم من هذا

---

(1)المناوي ،التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق محمد رضوان، دار الفكر المعاصر، دار الفكر ، بيروت، دمشق الطبعة الأولى 1410، ص665.

(2) محمد بن أحمد بن إسماعيل المقدم هويتُنا أو الهاوية، الدعوة السلفية بالأسكندرية،ص2

(3) أخرجه بن ماجة ، كتاب الطهارة وسننها، باب باب المحافظة على الوضوء، رقم الحديث277

(4) الذهبي، سير أعلام النبلاء، الناشر: مؤسسة الرسالةج29 ص84

المفهوم دخول المبتدعة فيه لأن مذاهبهم تقوم على نقض السنة وعدم الاعتراف بها كمصدر يبين مجمل القرآن ويخصص عمومه ويبين مشكله ويقيد مطلقه، مما يعني أنهم يحكمون أهواءهم.

وبهذا الضابط الذي أشرنا إليه فإن من طعنوا في عدالة الصحابة لا يسعهم الدخول في هذا المفهوم لأن اسقاط عدالة الصحابة يلزم منه إسقاط للسنة من حيث إنهم نقلوها وقاموا بأدائها، ويخرج كذلك من يجعل العقل حَكَماً على النقل ويقدمه في الاستدلال والاستشهاد أو أولئك الذين يفسرون النصوص بعيدا عن معاني اللغة العربية.

تقوم أهداف الفتح الإسلامي على تعزيز مقاصد الدعوة الإسلامية، ولذا كان من الطبيعي أن يهتم الفاتحون بالناحية العلمية انطلاقاً من تعلم القرآن الكريم وتعليمه بجانب معرفة اللغة العربية وتعلم أساسيات الدين الإسلامي، وما من بلاد فتحها المسلمون إلا وظهر تأثير جهودهم الدعوية في وقت قصير على أهل البلاد التي يقيمون بها.

وبالنظر إلى مسيرة الفتح الإسلامي فإن هم الدعوة الإسلامية كان حاضراً لدى الفاتحين لبلاد المغرب فقد تخوف عقبة بن نافع قائد الجيش الفاتح لأفريقية أن يرجع الناس عن دين الإسلام لو لم يجدوا من يثبتهم ويمكث معهم، ولذلك انتهى بهم الرأي أن يتخذوا مدينة تكون عزاً للإسلام، وأن يكون الجيش مرابطا بها، وهكذا شرعوا في بناء مدينة القيروان في سنة (50هـ)، ويمكن القول بأن الحياة العلمية أضحت في نشاط وازدياد بعد تأسيس مدينة القيروان وبناء جامعها العظيم، حيث تأتّى للجيش الفاتح تدبير أمر الإقامة وبناء المساكن وصحب هذا التحول الحضاري دخول عدد كبير من السكان في الدين الإسلامي، الأمر الذي نتج عنه حراك علمي فاعل اتسعت به خطة المسلمين ورسخ به الدين[1]. وتتابع بناء المساجد بعد ذلك فكان جامع الزيتونة الذي اختط سنة (79هـ)وتخرج فيه ما لا يمكن استقصاؤهم، وقد اعتنى بشأن هذا الجامع الملوك والأمراء وعمر بالعلوم على اختلاف أنواعها عقلية ونقلية مقاصد ووسائل حتى كان يقال إن حذاء كل سارية من سواريه مدرساً وفي خزائنه ما يزيد على المائتي ألف مجلد، ومثله كذلك جامع القرويين بفاس الذي تأسس سنة 245هـ فقد تخرج فيه أئمة أعلام وتحولت المدينة بسببه إلى مدينة تشتهر بالعلم والثقافة انطلاقاً من احتضانه للكراسي العلمية .[2]

(1) انظر ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان الطبعة الثالثة، 1983م ص10. وابن خلدون، تاريخ بن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، 1408هـ - 1988م، ج 3ص13.

(2) محمد بن مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتب العلمية، لبنان الطبعة: الأولى، 1424- 2003م ج1 ص626

وتأسيسا على هذا فقد انطلقت الحياة الفكرية وازدهر الحراك العلمي بالمغرب من خلال المذاهب العقدية والفقهية الوافدة من المشرق حيث أثيرت كثير من المسائل الكلامية وكثرت المناظرات، وتعددت الحلقات العلمية وتنوعت الدروس المنهجية ونشطت كل فرقة في الرد على غيرها، وأُلفت في ذلك كتب عديدة، وكانت الصولة والكلمة الأخيرة لأهل السنة والجماعة، وهكذا أصبحت بلاد المغرب مجتمعاً للعلم والعلماء ، وإليها رحل طلاب العلم من الآفاق، ومنها انطلق الدعاة لنشر رسالة الإسلام إلى مختلف النواحي وانداحت بذلك دوائر الثقافة الإسلامية إلى أفريقيا [1]. ولعل تجذر التدوين والكتابة في العقل والكف المغربي جعل المغرب مركزاً للإشعاع والتواصل والنبوغ الحضاري وصار يمثل وحدة فكرية روحية ثقافية أهّلته للمشروعية السياسية التي تمثلت في الأدارسة والمرابطين والموحدين، وهذا الكيان الروحي الثقافي أثر بعمق فى الكيان الأفريقي السوداني.[2]

المبحث الثاني: العوامل التي أسهمت في الحضور المغربي بالسودان

دخل الإسلام إلى السودان منذ وقت مبكر فالآثار الإسلامية توضح أن السودان من الشعوب الأولى التي عرفت الإسلام بدليل أن المسلمين لما فتحوا مصر غزوا بلاد النوبة فقفل المسلمون بالجراحات وذهاب الحدق من جودة الرمي فسموا رماة الحدق فلما ولي عبدالله بن سعد بن أبي سرح مصر في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه صالحهم على هدية عدة رؤوس منهم يؤدونهم إلى المسلمين في كل سنة ويهدي إليهم المسلمون في كل سنة طعاما مسمى.[3]ونتيجة لذلك تكونت الصلات التجارية والثقافية بين الدولة الإسلامية ومملكة النوبة وبمرور الزمن ازدادت هذه الصلات مثمرة نوعاً من التواصل المغاربي باتجاه السودان واتسع مدى هذا التواصل وتعزز من خلال العوامل التالية :-

---

(1) الحسين بن شواط ،مدرسة الحديث في القيروان، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض، الطبعة الأولى،1411هـ ج1ص59

(2) انظر حسن مكي، الحضارة الإسلامية ودوائرها ومشاربها، مجلة الإسلام في أفريقيا، معهد مبارك قسم الله للبحوث والتدريب، الخرطوم،2016العدد السابع،ص18.

(3) انظر الطبري، تاريخ الأمم والرسل والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ، 1407ج2ص516.

أولا: العمل بالدعوة الإسلامية: عندما يتعرض المؤرخون لحقيقة التواصل بين بلاد المغرب وسودان وادي النيل فإنهم يشيرون إلى عدم العثور على مصادر أو مراجع تبين طبيعة هذا التواصل قبل ظهور الإسلام الذي أسهم في رسم صورة هذا التواصل وتحديد شكله ومساره لاحقاً استناداً إلى فلسفة الإسلام التي تتميز بالمرونة في التنقل من مكان إلى مكان دون قيد سوى التمسك بتعاليم الاسلام وقد كان هذا الحق مكفولاً من كل الدول التي تعاقبت على حكم بلاد المغرب وهذا يعني أن الاستجابة للأمر بتبليغ رسالة الإسلام والاستشراف لنيل فضل الدعوة والحصول على ثوابها أوجد نوعاً من الانتشار والحراك الدعوي تجاه السودان ويرجع السبب في هذا إلى سهولة التواصل وتعدد وسائله حيث لا توجد حواجز طبيعية قاهرة تمنع تحركات العناصر البشرية[1] ، وانطلاقاً من هذا فقد أحدثت هذه الجهود الدعوية نوعا من التواصل النوعي خاصة وأن الإسلام قد رسخت أقدامه في المغرب قبل نهاية القرن الأول الهجري في حين أن السودان لم يصل المرحلة التي وصل إليها المغرب إلا في القرن التاسع الهجري[2].

ثانيا :تأثير مفهوم الاستطاعة المتعلق بالحج إلى البيت الحرام

يعد الحج أحد العوامل التي أسهمت في إثراء التواصل المغربي مع السودان باعتبار موقع السودان الجغرافي الذي جعل منه واحداً من الطرق التي يسلكها الحجيج المغربي في رحلته إلى الأراضي المقدسة ، وإلى جانب هذا وبالنظر إلى الفقه المالكي الذي يسود المنطقة ويجد حظا من التلقي لابد من الإشارة إلى مفهوم الاستطاعة لحج البيت الحرام وتأثيره في إثراء هذ التواصل، فقد سئل مالك عن الاستطاعة هل هي(الزاد والراحلة ؟ قال: لا والله وما ذاك إلا على قدر طاقة الناس فرب رجل يجد زادا وراحلة ولا يقدر على المسير، وآخر يقوى يمشي على راحلته وإنما هو كما قال الله، عز وجل: (من استطاع إليه سبيلا))[3] وهذه يعني أن مفهوم الاستطاعة في الفقه المالكي يعتبر بحال المكلف في صحته وماله وعادته وقدرته من غير تحديد وذلك يختلف ببعد المسافة وقربها وكثرة الجلد وقلته فعلى المشهور في المذهب من قدر على المشي وجب عليه وإن عدم المركوب، كما إن مالكاً يرى تقديم الحج على الزواج إلا أن يخشى الانسان على نفسه العنت فيتزوج لأن مفاسد الزنا أعظم(4)، ولا شك أن مدارسة هذا المفهوم وتناوله من خلال حلقات العلم ومسائل الفتوى عزز من رحلة الحج الأمر الذي أدى إلى تقوية المدد الروحي والفكري المغربي باتجاه السودان. ويعد كلاً من ميناء عيذاب (حلايب الحالية)وميناء سواكن من أشهر الموانئ السودانية التي كانت تعبر من خلالها قوافل الحجيج المغربية والأفريقية إلى ميناء جدة.[5]

---

(1) انظر عبد القادر عثمان محمد جاد الرب، التواصل المغربي الثقافي والاجتماعي مع سودان وادي النيل ،مجلة كلية الآداب ، العدد السادس،2013م ص23.

(2) انظر ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان الطبعة: الثالثة، 1983م ص 47. وانظر مصطفي محمد مسعد، الإسلام والنوبة في العصور الوسطى، مكتبة الانجلو المصرية،1960م ص204

(3) انظر ابن عبد البر، الاستذكار تحقيق: عبدالمعطي امين قلعهجي، دار قتيبة ، دمشق ،الطبعة: الأولى 1993م ج12ص61.

(4) القرافي، الذخيرة تحقيق : محمد حجي ، دار الغرب، 1994م ،بيروت ج3 ص176

(5) انظر عبد القادر عثمان محمد جاد الرب، التواصل المغربي الثقافي والاجتماعي مع سودان وادي النيل ،مرجع سابق ص6.

ولم تكن قوافل الحج مجرد تجمع حجيج وإنما كانت مدن متحركة فيها الأمراء والقادة والجند والعلماء والتجار والنساخ والوعاظ والرعاة والعمال والمغامرون وطلاب الرحلة ، وفي الطريق قد يتخلف البعض وينضم آخرون ولمدة شهور يحدث فيها تلاقح فكري وثقافي، وعن طريق هذا التلاقح دخلت الطريقة الشاذلية.[1]

ثالثا:: تأثر السودان باتجاهات الهاربين من الضغوط السياسية والمذهبية: وقد كان للهاربين من الضغط السياسي في البلاد الأخرى شأن يذكر في نشر الثقافة العربية في السودان حيث كثرت الفتن السياسية منذ قيام دولة بني أمية، وكانت أفريقيا ملجأً مهماً يهربون إلى بقاعها المختلفة ويتيهون في مجاهلها البعيدة السحيقة.[2] ومما يدلل على أن السودان تأثر باتجاهات الهاربين من الضغوط السياسية والمذهبية أن العلاقات بين السودان والدولة الفاطمية (298هـ) لم تكن ودية، الأمر الذي يشير إلى أن خصوم الفاطميين اتجهوا نحو السودان في الوقت الذي كانت فيه مصر والشام والحجاز وأفريقيا الشمالية كلها تحت حكم هؤلاء الفاطميين.[2]

رابعا: **تشجيع السلطنات الإسلامية بالسودان للحركة العلمية**: بعد انتهاء الصراع بين الإسلام والممالك المسيحية في السودان في القرن السادس عشر الميلادي تحددت معالم الهوية الدينية للمجتمع السوداني بفضل الجهود الدعوية التي قامت بها كل من سلطنة الفور والفونج الإسلاميتين وذلك بتشجيعهما للحركة العلمية والفكرية انطلاقاً من استضافتهما للعلماء والترحيب بوفادتهم، وكان هؤلاء الدعاة والعلماء الذين قدموا من مصر والحجاز والمغرب خليطاً من الفقهاء والمتصوفة ، إلا أن الطابع العلمي كان أغلب على الذين وفدوا من مصر بينما تميز الأثر الحجازي بغلبة المبادئ الصوفية، وساعد المغرب في إثراء كل من الأثرين السابقين)(3).

وهذه الحركة العلمية التي أسهمت في تشكيل المعرفة الدينية في المجتمع السوداني ربما كان لها الفضل في خلو الاتجاه الصوفي في السودان من نظريات التعمق الفلسفي أو تبنيها،(4)باعتبار استنادها وقيامها على الكتاب والسنة، ومنذ تلك اللحظة كانت حركة النهضة الدينية تسير باتجاهين هما:

الاتجاه الأول: جانب الحركة العلمية والدروس المنهجية ممثلاً في العلماء، الذين بسطوا تدريس الفقه المالكي وقاموا باستجلاب أشهر كتبه مثل (رسالة بن أبي زيد القيرواني)و(مختصر خليل).

---

(1) انظر حسن مكي، الحضارة الإسلامية ودوائرها ومشاربها، مجلة الإسلام في أفريقيا، معهد مبارك قسم الله للبحوث والتدريب، الخرطوم،2016العدد السابع،ص20

(2) انظر محمد النور ضيف الله، كتب الطبقات، تحقيق يوسف فضل حسن، ط الخامسة، 2012م الخرطوم، السودان، ص2

(3) انظر الذهبي، سير أعلام النبلاء، الناشر، مؤسسة الرسالةج29 ص150.مصدر سابق

(4)محمد النور ضيف الله، كتب الطبقات، بتحقيق يوسف فضل حسن، ط الخامسة، 2012م الخرطوم، السودان ص 4.

(5) المرجع نفسه ص 14.

الاتجاه الثاني: جانب التربية وتقويم السلوك ممثلاً في الطرق الصوفية. وقد كان للمغاربة جهد بارز في حركة التصوف في السودان ورعايته، ويشار هنا إلى أن الشيوخ الذين كانوا وراء نشر التصوف معظمهم من المغاربة(1).

خامسا: **التواصل من خلال المجموعات البشرية**: وتمثل ذلك في الأفراد والجماعات المهاجرة حيث جاءت مجموعات من قبيلة بني هلال إلى دارفور حينما كانت الوثنية مطبقة على ربوعها، وكانت هجرة هذه القبائل طواعية ونتيجة لعوامل أثرت على استقرارهم بالمغرب الأوسط ودفعت بهم نحو السودان وبفضل تلك الهجرات المتتالية تحولت دار فور كلها إلى الإسلام[2] وأسهمت هذه القبائل بجهد كبير في نشر ثقافة المذهب المالكي في المنطقة من خلال احتكاكها المباشر مع السكان الأصليين، ومن الواضح أن السلوك العام للعناصر المهاجرة للسودان كان يتميز بالتواصل الإيجابي ومحاولة الامتزاج بالسكان والاندماج فيهم عن طريق التزاوج والمعايشة اليومية، وتأسيساً على ذلك فإننا نجد أن الجهد الذي قام به المغاربة في السودان لا يقل عن جهود البعوث الاستكشافية المسيحية والاستعمارية ولكن ضغوط الجيوش الغربية بمدارسها ومدافعها ولغاتها غطى جزئيا على جهود المدد المغربي ،وما تزال آثار المغرب من جاليات قديمة اختلطت بالأهالي حاضرة على امتداد السودان ، ويكفي أنه في جمهورية السودان للمغاربة ما يشبه الإقليم - شرق النيل – حيث قامت فيه مدن كاملة للمغاربة والشناقيط والأشراف[3].

---

(1) انظر عبد القادر جاد الرب، التواصل المغربي الثقافي والاجتماعي مع سودان وادي النيل ،مجلة كلية الآداب ، العدد السادس،2013م ص23.

(2) مجلة دراسات أفريقية، مركز البحوث والدراسات الإفريقية بجامعة أفريقيا العالمية، دار جامعة أفريقيا العالمية العدد20 يناير 1999ص 123 وعبد القادر جاد الرب، التواصل المغربي الثقافي والاجتماعي مع سودان وادي النيل، مرجع سابق ص 22.

(3)انظر حسن مكي، الحضارة الإسلامية ودوائرها ومشاربها، مجلة الإسلام في أفريقيا، معهد مبارك قسم الله للبحوث والتدريب، الخرطوم،2016العدد السابع،ص20

المبحث الثالث: التراث العلمي المالكي ومواجهته لأهل الأهواء بالمغرب العربي

المطلب الأول: ملامح من تاريخ أهل الأهواء بالمغرب العربي

شهدت منطقة المغرب بعد الفتح الإسلامي حراكا علميا واسعاً وتميزت البدايات الأولى للدعوة الإسلامية في تلك المنطقة بالشغف والحرص على تعلم الدين الجديد ،وتبعاً لذلك كثر بناء المساجد والكتاتيب في سائر بلاد المغرب ،وكان لإرسال عمر بن عبد العزيز مجموعة من علماء التابعين يفقهون أهل الْمغرب في دينهم التأثير الكبير في انتشار الثقافة الإسلامية بصورة كبيرة الأمر الذي يدل على أن المغاربة منذ صدر الإسلام كانوا على مذهب جمهور السلف من الأمة واعتقادهم ،وهو المذهب الحق[1]. لكن مع هذا فقد حدثت كثيرا من التقلبات السياسية والانتفاضات المذهبية المصحوبة ببعض الفتن ومن ذلك:

1- **فتنة الخوارج**: ظهرت فتنة الخوارج ببلاد المغرب الإسلامي في أول المائة الثانية من الهجرة النبوية والسبب في ذلك أن بعض خوارج العراق بثوا الفكر الخارجي في المنطقة مستندين في خروجهم هذا بالاعتماد على ظاهر بعض النصوص، وساعد في ذلك الممارسات الخاطئة لبعض العمال والولاة، وإذا علمنا أن الخطاب الدعوي للخوارج يقوم على التشدد والتعمق الموهم للعامة بأن هذا التشدد يعد أثراً من آثار الخشية من الله تعالى والخوف منه يصبح من السهل على بعضهم التأثر بمثل هذا الخطاب خاصة عندما يرون التناقض الصارخ بين تعاليم الإسلام وبين سلوك هؤلاء العمال، وانطلاقاً من هذا فقد اضطرم المغرب نارا وفشت نحلة الخارجية في جميع قبائله وانتقض أمره على خلفاء المشرق فلم يراجع طاعتهم بعد[2]، وكان للخوارج نشاط علمي على مذهبهم ، وقاموا بكتابة العديد من المصنفات ولهم دواوين ومجلّدات من كلامهم في فقه الدين، وتمهيد عقائده، وفروعه مباينة لمذهب أهل السنّة إلّا أنها ضاربة بسهم في إجادة التأليف والترتيب وبناء الفروع على أصولهم الفاسدة(3) ولهذا رسخت هذه البدعة الخارجية في البربر زمانا طويلا إلى أن اضمحلت في أواخر المائة الثانية وما بعدها ومع ذلك فقد بقيت منها آثار في أعقابهم من أصحاب الأطراف.[4]

---

(1) انظر شهاب الدين السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى المحقق: جعفر الناصري/ محمد الناصري، دار الكتاب - الدار البيضاء ج1 ص192.

(2) المرجع نفسه ج 1 ص 165.

(3)انظر ابن خلدون، تاريخ بن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، 1408هـ - 1988م، ج 3ص213.

(4) انظر شهاب الدين السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، مصدر سابق ج1 ص 193.

2- **الفكر المعتزلي**: ظهر مذهب الاعتزال بالمغرب الإسلامي بصورة واضحة في عهد الأغالبة(185هـ - 296هـ) ، وتمكن المعتزلة من الوصول إلى القضاء مرتين بالقيروان وامتحنوا أهل السنة في مسألة القول بخلق القرآن، وكان الإمام سحنون من الذين امتحنوا (فاختفى ثم جيء به إلى ابن الأغلب فجمع له القواد والوزراء والقاضي ابن أبي الجواد وقال له : ما تقول في القرآن ؟ فقال سحنون أصلح الله الأمير أما شيء أبدأ به من نفسي فلا، ولكن الذي سمعت ممن تعلمت منه وأخذت ديني عنه فهم كانوا يقولون :إن القرآن كلام الله وليس بمخلوق فقال ابن أبي الجواد القاضي :إنه قد كفر فاقتله ودمه في عنقي وقال مثل ذلك نصر بن حمزة القائد وغيره ، فقال لداود بن حمزة : ما تقول ياداود ؟ فقال : أصلح الله الأمير قتله بالسيف راحة له ، ولكن اقتله قتل الحياة يؤخذ عليه الحملاء (أي الكفلاء) وينادى عليه بسماط القيروان أن لا يفتي ولا يسمع أحداً ويلزم داره ففعل ذلك أبو جعفر وترك قول من أشار إليه بقتله)(1) وهكذا كانت محنة القول بخلق القرآن سببا في اختفاء كثير من العلماء ، ومنعهم من التدريس والإفتاء.

3- **فتنة الرافضة**: ظهرت دعوى الرفض بالمغرب العربي وقويت بقيام دولة بن عبيد (296-567هـ) وظهور سلطانهم واستمر حكمهم بإفريقية والمغرب مدة من الزمن كرسوا فيها كل جهودهم لإماتة السنة ونشر البدع ، ومنع العلم ، مستعملين في ذلك أخس الوسائل فتعرض الناس في عهدهم لظلم عظيم وضيق شديد(2)، وقد ارتكب الباطنيون الروافض في أهالي الشمال الإفريقي ما تشيب منه الولدان ولا تصدقه العقول، وصبوا سخطهم على العلماء خاصة، وحرّموا عليهم الفتوى بمذهب الإمام مالك، واعتبروا ذلك جريمة يعاقب عليها بالضرب والسجن أو القتل أحيانًا، ويعقب ذلك نوع من الإرهاب والإذلال، حيث يدار بالمقتول في أسواق القيروان وينادي عليه: (هذا جزاء من يذهب مذهب مالك) وشنوا حربًا نفسية على أهل السنة وذلك بتعليق رؤوس الأكباش والحمير على أبواب الحوانيت والدواب، وكتبوا عليها أسماء الصحابة رضي الله عنهم، وأظهروا سب الصحابة، وطعنوا فيهم وزعموا أنهم ارتدوا بعد النبي - ﷺ - وخصصوا دعاة للنداء بذلك في الأسواق. ومن ذكر الصحابة بخير أو فضّل بعضهم على عليّ - رضي الله عنه - قتل أو سجن[3].

---

(1) محمد بن أبي العرب، المحن، تحقيق، د عمر العقيلي ،دار العلوم، الرياض ،السعودية الطبعة: الأولى، 1404هـ - 1984م،ص464

(2) محمد بن الطرهوني، الحالة السياسية والاجتماعية من الناحية التاريخية لمنطقة المغرب العربي، ص29

(3) انظر علي محمد محمد الصلابي ،صفحات من التاريخ الإسلامي، الدولة الفاطمية، مكتبة الصحابة، الطبعة الأولى2007م، ص69.

المطلب الثاني: موقف علماء المالكية ووسائل وأساليب مقاومتهم لأهل الأهواء بالمغرب العربي

لقد قاوم علماء المغرب أهل الأهواء أشد المقاومة، وصدرت الفتاوى عنهم والمؤلفات في الرد عليهم، ومازال أمرهم في تناقص حتى زال خطرهم كلية من إفريقية، وكان علماء السنة من قراء ومحدثين وفقهاء لهم بالمرصاد وقد تعددت أساليب مواجهتهم على النحو التالي:-

أولا: الصبر على الأذى

لقد كان لصمود العلماء والفقهاء ضد سطوة أهل الأهواء وتحملهم للأذى والسجن والقتل تأثير كبير في تثبيت عوام المسلمين على عقيدة أهل السنة، ولم تفلح أساليب الترغيب والترهيب في كسب العلماء لتأييد المناهج المنحرفة أو موافقتها. وعندما منع العبيديون علماء السنة من التدريس في المساجد فإن العلماء قد فتحوا بيوتهم واجتهدوا سراً في تعميق عقائد أهل السنة وأصولهم وفقههم في قلوب أهل الشمال الإفريقي[1].

ثانيا :التشدد على من أظهر شيئا من الولاء لهم

وكان هذا أحد الأساليب الرادعة التي استخدمها المجتمع السني في مواجهة أهل الأهواء ففي عهد بني عبيد قوطعت مؤسسات الدولة بل مقاطعة من داهن الدولة من الفقهاء وإن لم يدخل في دعوتهم كأبي سعيد البراذعي[2] الذي كان من كبار فقهاء المالكية، وقد تجنبه الفقهاء لاتصاله بسلاطين هذه الدولة التي قامت على البدعة(3).

وقد حدث شيء قريب من هذا لأبي اسحاق التونسي[4] أحد العلماء الأجلاء وذلك عندما استفتي في شأن الشيعة فقال:(إن هذه الفرقة على ضربين: أحدهما كافر، مباح الدم والضرب. والآخر الذين يقولون بتفضيل علي بن أبي طالب على سائر الصحابة، لا يلزمهم الكفر، ولا تبطل نكاحاتهم)[5]وشاعت الفتوى واشتد النكير عليه لكن أظهر التمادي على قوله وإنكار الرجوع عنه، ونهض بعضهم في تبديعه وتفسيقه حتى اضطروه إلى الرجوع عنه مع أن

(1) انظر علي محمد محمد الصلابي، صفحات من التاريخ الإسلامي، الدولة الفاطمي، مصدر سابق ص78.

(2) البراذعي هو :أبو سعيد خلف بن أبي القاسم الأزدي ،شيخ المالكية، أبو سعيد خلف بن أبي القاسم الأزدي، القيرواني، المغربي، المالكي، صاحب(التهذيب)في اختصار(المدونة). كان مبغضا عند أصحابه لصحبته سلاطين القيروان، توفي سنة 372هـ.(الزركلي ، الأعلام، دار العلم للملايين ط الخامسة عشر ، 2002م. ج 2 ص 311)

(3) الذهبي، سير أعلام النبلاء، الناشر: مؤسسة الرسالةج17ص523

(4) أبو اسحاق التونسي: هو :إبراهيم بن حسن ،وكان جليلاً فاضلاً، إماماً صالحاً، منقبضاً متبتلاً. وبه تفقه جماعة من الإفريقيين.. وله شروح حسنة، وتعاليق مستحسنة مستعملة، لحق من تقدمه في العلم والورع، وأعجز من يأتي بعده.(انظر القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، مطبعة فضالة - المحمدية، المغرب الطبعة: الأولى ج8 ص58)

(5) انظر القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، مطبعة فضالة - المحمدية، المغرب الطبعة: الأولى ج8 ص60

الحق كان معه لكن مخالفته لرأي أصحابه في حسم الباب لمصلحة العامة هو ما أخذ عليه وأن رأي الجماعة كان أسدّ للحال. وأولى بعائدة الخير، وكان رأي الفقهاء سد هذا الباب وأن بني عبيد زنادقة، لكن الفتوى كانت جريا على العلم وطريق الحكم(1).

وفي هذا السياق يقول الذهبي:(ليس تفضيل علي برفض، ولا هو ببدعة، بل قد ذهب إليه خلق من الصحابة والتابعين، فكل من عثمان وعلي ذو فضل وسابقة وجهاد، وهما متقاربان في العلم والجلالة، ومن سادة الشهداء - رضي الله عنهما - ، ولكن جمهور الأمة على ترجيح عثمان على الإمام علي، وإليه نذهب)(2). وهذه الحادثة تكشف ما كان عليه المجتمع من شدة في عدم قبول ما يذهب إليه أهل الأهواء والنفور من كل ما يؤيد مذاهبهم.

ثالثا إقامة المناظرات

كان علماء المغرب يلجأون إلى هذه الوسيلة ويحفهم شيء من الورع نظراً لما يؤثر عن الإمام مالك من التحذير من أهل الأهواء وكيفية التعامل معهم حال المواجهة إذ يرى ضرورة الاستعداد العلمي القائم على حذق الأدلة ومعرفتها وقد ذكر أنه استفتي في حكم الرد عليهم فقال: (لا يرد عليهم إلا من كان عالما ضابطا عارفا بما يقول لهم، ليس يقدرون أن يعرجوا عليه، فإن هذا لا بأس به، وأما غير ذلك فإني أخاف أن يكلمهم فيخطئ، فيمضوا على خطئه، أو يظفروا منه بشيء فيطغوا، ويزدادوا تماديا على ذلك)(3). ووفق هذه الرؤية المحكمة انطلق العلماء يكشفون ضلال هذه الفرق، ومن بين هؤلاء العلماء الإمام سحنون[4] حيث كان إماماً حافظاً للعلم، ولم يكن يهاب سلطاناً في حق يقيمه وهو أول من شرد أهل الأهواء من المسجد الجامع، حيث كانت هناك حلقات للصفرية، والإباضية والمعتزلة مظهرين لزيغهم.(5).

---

(1) المرجع السابقج8 ص60

(2) الذهبي، سير أعلام النبلاء، الناشر: مؤسسة الرسالة ج32 ص42

(3) أبو العرب محمد ،طبقات علماء إفريقية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ص36.

(4) هو الإمام: أبو سعيد عبد السلام سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي القيرواني: أصله من حمص اجتمع فيه من الفضائل ما تفرق في غيره، الفقيه الحافظ العابد والورع الزاهد، الإمام العالم الجليل المتفق على فضله وإمامته، أخذ عن أئمة من أهل المشرق والمغرب انتهت إليه الرئاسة في العلم وعليه المعول في المشكلات وإليه الرحلة ومدونته عليها الاعتماد في المذهب. ولد في رمضان سنة 160 هـ ومات في رجب سنة 240 هـ(محمد بن مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: دار الكتب العلمية، لبنان الطبعة: الأولى، 1424 هـ - 2003 م ج1 ص103)

(5) أبو العرب محمد ،طبقات علماء إفريقية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ص36.

وممن سجلت لنا كتب التاريخ مآثره النيرة في هذا المضمار العلامة الفقيه سعيد بن محمد بن صبيح، أبو عثمان الحداد، المالكي المغربي وكانت له مقامات محمودة في الذب عن السنة. ناظر أبا العباس الشيعي داعي الروافض بني عبيد، وناظر بالقيروان الفراء شيخ المعتزلة. وكان إماما في اللغة والعربية والنظر، إلا أنه كان يحط على المالكية، ويسمي " المدونة ": المدودة. فسبه المالكية وقاموا عليه، ثم اغتفروا له ذلك وأحبوه لما ناظر الشيعي وأفحمه ونصر الحق(1).

رابعا: التهوين من شأن المبتدعة وردعهم

وذلك من خلال مقاطعتهم وعدم الصلاة على موتاهم واشتهر هذا عن بعض العلماء الذين كانوا يتجنبون شهود جنائز المبتدعة بقصد الامتناع من الصلاة عليها.(2) حيث يرون أنه يكره للإمام ولأهل الفضل أن يصلوا على البغاة وأهل البدع، كحال الميت الذي اشتهر بالمعاصي أومن المقتول في قصاص أو رجم فهؤلاء لا يصلي عليهم الإمام ولا أهل الفضل ويرون أن هذا من باب الردع. فكل من كان حكمه الأدب أو القتل أو غير ذلك فمات فعلى الإمام وأهل الفضل أن يتجنبوا الصلاة عليه ليكون ذلك ردعا لغيره من الأحياء. وفي هذا تنبيه للعامة بمجانبة أهل الأهواء والتحذير منهم.(3)

خامساً: الفتاوى

إلى جانب ما أوردناه من الوسائل والأساليب التي واجه بها العلماء أهل الأهواء فإن الحاجة كانت ماسة لبيان كيفية التعامل معهم خاصة وأن بدعهم ليست على درجة واحدة في النكارة بل هي متفاوتة، ومن هنا لزم التوضيح والبيان لكل حالة، فمن كان على الإسلام عارفاً به غير منكر له مثل القدرية والإباضية والخوارج وما أشبههم ممن هو على غير ما عليه جماعة المسلمين، فالشأن فيه أن يضرب مرة بعد أخرى، ويحبس، وينهى الناس عنه أن يجالسوه، أو أن يسلموا عليه تأديباً له، [4] ومن كان مباينا للجماعة مناوئاً لها وداعياً لبدعته مع منعه فريضة من الفرائض فإن الواجب على الإمام أن يستتيبه، فإن تاب وإلا قتل. ومن البدع ما لا يختلف أنه كفر، كمن يقول من الروافض إن علياً بن أبي طالب كان النبي، ولكن جبريل أخطأ في الرسالة، وكمن يقول منهم إن الأئمة أنبياء يعلمون ما كان وما يكون - إلى يوم القيامة؛ فهؤلاء ومن أشبههم كفار[5].

---

(1) الذهبي، تاريخ الإسلام، تحقيق بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي الطبعة: الأولى، 2003م، ج7 ص50.
(2) أبو العرب محمد ،طبقات علماء إفريقية، مرجع سابق74.
(3) انظر أبو عبد الله المواق المالكي، التاج والإكليل لمختصر خليل، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، -1994م ج3ص56.
(4) انظر القرطبي ،البيان والتحصيل ،تحقيق محمد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان الطبعة: الثانية،1988م ج16ص410
(5) المرجع نفسه ج2ص393

وهذه الفتاوى بجانب قيمتها العلمية كانت تمثل نوعا من التحصين الفكري والتعريف بخطورة الانحراف الذي يتبناه أهل الأهواء ويسيرون عليه ولا شك أن لانتشار هذه الفتاوى تأثير كبير في حماية الهوية السنية والمحافظة عليها.

المبحث الرابع: نتائج التواصل الثقافي المغربي وتأثيره في تشكل الهُوية الدينية للمجتمع السوداني

لا شك أن المذهب المالكي من بين المذاهب الفقهية التي عززت هذه الحركة العلمية في تلك البلاد حيث يحتفظ المذهب بآليات محكمة في الاجتهاد، وقواعد مرنة في استنباط الأحكام، وضوابط فقهية دقيقة في تتبع المشكلات والنوازل والوقائع وإيجاد الحلول الملائمة لها في ضوء هذه الآليات والقواعد، وقد كان فقهاء المذهب المالكي في المغرب ـ بما أسسوه من قواعد التخريج والاستنباط ـ أكثر انفتاحا على مشكلات عصورهم، وأشد ارتباطا بأوضاع مجتمعاتهم، وأكثر انشغالا بحياة الناس وقضاياهم في ظروفها المتغيرة والمتجددة، فأجابوا بذلك عن كثير من الأسئلة المطروحة، وأفتوا في العديد من النوازل الوقتية، ووضعوا الحلول المناسبة والأحكام المنسجمة مع واقع الناس وبيئتهم وعوائدهم وأعرافهم،[1] وهذه الكينونة الثقافية القائمة على المذهب المالكي وشروحه لم تكن منغلقة بل كانت عابرة للحواجز العرقية والقبلية، ونظراً للعوامل التي سبق ذكرها فإن من الطبيعي أن يتأثر السودان بهذه الوحدة الفكرية والروحية[2] الأمر الذي بسببه تحدد المسار الفكري للمجتمع السوداني وأصبح المذهب المالكي هو المذهب الرئيس في الممالك الإسلامية التي ظهرت في السودان ابتداءً من القرن السادس عشر الميلادي(3). ولا يعني هذا أن السودان لم يعرف المذاهب الفقهية الأخرى لكن من الواضح بأن تميز المذهب المالكي في معالجة القضايا الحياتية وتنظيم الحياة السياسية والاقتصادية بالطريقة التي تتماشى مع ميول الإنسان ورغباته وتركيبته النفسية جعلته المذهب الفقهي الأقرب لحياة الناس[4].

ومن هنا يتضح تأثير المذهب المالكي في الحفاظ على الهوية السنية للمجتمع السوداني ولعل السبب في ذلك أن أتباع وعلماء المذهب حملوا على أهل الأهواء والبدع حملة عظيمة وكانت لهم مجهودات مقدرة في مواجهتها ودحرها منذ وقت مبكر وعلى سبيل المثال عندما تمكنت الدولة الفاطمية (296-567هـ) من فرض التشيع في المجتمعات السنية المغاربية وأرادوا حمل الناس عليه بالقوة حرّموا على الفقهاء الفتوى بمذهب الإمام مالك، واعتبروا ذلك جريمة يعاقب عليها بالضرب والسجن أو القتل أحيانًا، ويعقب ذلك نوع من الإرهاب النفسي، حيث يدار بالمقتول في أسواق القيروان وينادي عليه: (هذا جزاء من يذهب مذهب مالك)(5).

---

(1) ابراهيم عبد الصادق محمود، فقه النوازل في تراث المذهب المالكي، ورقة علمية مقدمة في الندوة العلمية للإمام الباجي ، السودان، الخرطوم ، 2014م، ص341.

(2) انظر حسن مكي، الحضارة الإسلامية ودوائرها ومشاربها، مجلة الإسلام في أفريقيا، مرجع سابق ص 19

(3) عبد القادر عثمان أحمد ،العلاقات السودانية المغاربية رؤية من خلال مسيرة المذهب المالكي ،ورقة علمية مقدمة في الندوة الدولية للإمام الباجي، السودان، الخرطوم ، 2014م.ص490

(4) المرجع نفسه ص 466.

(5) علي محمد محمد الصلابي، صفحات من التاريخ الإسلامي، الدولة الفاطمية، مكتبة الصحابة، الطبعة الأولى2007م، ص 70

وبحلول هذا البلاء العظيم كان علماء المالكية كالصخرة الصلبة التي تتكسر عليها السهام ، فهم الذين كانوا وراء تطهير المغرب الإسلامي(1) من أثر التشيع من خلال التدابير التي قاموا بها، وفي ذات السياق نجد أن بعض كتب المذهب تقدم بين يدي المادة الفقهية بياناً وتعريفاً بمذهب أهل السنة والجماعة في العقائد كما أن بعض أبواب الفقه تشتمل على مسائل خالف فيها اهل الأهواء جمهور الفقهاء، وبالتالي فإن هذه العوامل أسهمت في التعرف على المنحرفين والتعريف بهم وأنهم على غير الجادة.

وعلى هذا يمكن القول بأن المجتمع السوداني ومن خلال مسيرة المذهب المالكي قد أفاد من هذا التراث العلمي لعلماء المذهب الذين وفدوا على السودان من بلاد المغرب الإسلامي. ولا شك أن خصيصة الإسناد وأدب التلقي ومبدأ إجازة الطالب في الاختصاص المعين كلها ضوابط كافية لنقل هذه المعرفة وبيان التأثير المترتب عليها من جيل إلى جيل كما أن بركة هذا المذهب بعد فضل الله جل ثناؤه أسهمت بقدر كبير في حماية المجتمع من فتن الأهواء. وهذا التراث يمثل ثراءً علمياً وجهادياً كبيراً وزاداً مباركاً وملهماً لأتباع المذهب مما يؤدي إلى تعزيز الوقاية منها مستقبلاً، وتأسيسا على ما سبق فإن هذا يعطي تفسيراً بأن السودان في جوهر عقيدته الإسلامية ظل بعيداً عن تعاليم أهل الأهواء من والمذاهب العقدية الفاسدة فكان أول ما عرفه أهل السودان عقيدة أهل السنة فتمسكوا بها، وعملت جهود المهاجرين على تعزيز هذه العقيدة والذود عنها.[2] كما أن المتتبع لتاريخ السودان في القديم لا يجد مشقة في إثبات أن التشيع والمذاهب العقائدية المخالفة لمنهج أهل السنة لم تكن في يوم من الأيام تشكل مظهراً من مظاهر الالتزام العقائدي للمجتمع فهذا لم يعرف منذ ان حدد السودان خياره الحضاري بالاتجاه نحو الإسلام.

---

(1) المغرب كمصطلح في الفترة الإسلامية يقصد به المنطقة الممتدة من الإسكندرية غرباً وحتى طنجة وبلاد سوس غرباً ، وفي بعض الفترات كانت تضاف إليه الأندلس (أ د.عبد القادر عثمان أحمد ،العلاقات السودانية المغاربية ، مصدر سابق)

(2) عبد المجيد عابدين ، تاريخ الثقافة العربية في السودان، ص 29

والذي يؤكد هذه الحقيقة أن الدولة العبيدية (الفاطمية) عندما ظهرت في القرن الرابع الهجري شمخ التشيع بأنفه وبسط نفوذه في مصر والشام والحجاز والشمال الأفريقي(3) ولم يرد ذكر في التأريخ لهذه الدولة بأن هذا التمدد الشيعي قد اتجه ناحية جنوب مصر(4) أو أن طبيعة الحياة الدينية في المجتمع قد تأثرت تأثراً عميقاً بمظاهر التدين الذي كانت تدعو له الدولة ، هذا على الرغم من تسجيل التاريخ لطبيعة العلاقة بين مصر وجنوبها حتى قبل دخول الإسلام إليها، فلم يغفل ذلك التاريخ جوانب التبادل التجاري والتداخل الثقافي والحراك السياسي والاجتماعي وغير ذلك مما كان يتم حدوثه بين الشعوب عادة.

(3) انظر سير أعلام النبلاء، الذهبي، مؤسسة الرسالة ج 29 ص 120.

(4) انظر صفحات من التاريخ الإسلامي، الدولة الفاطمية، علي محمد محمد الصلابي، مكتبة الصحابة، الطبعة الأولى2007م، ص66.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آلــه وصحبه أجمعين، وبعد.

فقد اشتملت هذه الدراسة على التواصل الثقافي وتأثيره في تعزيز الهوية السنية بالتطبيق على العلاقات السودانية المغاربية أشرت فيه أهمية البعد المغاربي في نشأة الحركة العلمية والفكرية بأفريقيا بصورة عامة مع التركيز على تأثير هذا الحراك العلمي على السودان ، وقد خلصت الدراسة إلى عدد من النتائج يمكن الإشارة إلى أبرزها:-

1- أصبح المغرب مركزاً من مراكز الحضارة الإسلامية في وقت مبكر من صدر الدعوة الإسلامية
2- كان للحركة العلمية والفكرية بالمغرب تأثير كبير على غيرها من البلاد والمجتمعات ومن بينها السودان.
3- رحل طلاب العلم من الآفاق إلى المغرب ومنه انطلق الدعاة لنشر رسالة الإسلام إلى مختلف النواحي.
4- تأثر السودان باتجاهات المعرفة المغاربية المستندة على الاحتفاء بالمذهب المالكي
5- من العوامل التي عززت التواصل المغاربي السوداني مفهوم الاستطاعة لحج بيت الحرام فقد كان له تأثير في تعزيز هذا التواصل.
6- عندما ازدهرت الحركة العلمية بالسودان كانت على وعي بحقيقة المذاهب المخالفة لأهل السنة
7- أسهم التواصل الثقافي المغاربي في تعزيز الهوية السنية للمجتمع السوداني.
8- كان لمواقف علماء المالكية تجاه أهل الأهواء التأثير الكبير على من تتلمذ على تراثهم بالسودان.

المصادر والمراجع

1. ابراهيم عبد الصادق محمود، فقه النوازل في تراث المذهب المالكي، ورقة علمية مقدمة في الندوة العلمية للإمام الباجي ، السودان، الخرطوم ، 2014م،
2. ابن خلدون، تاريخ بن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، 1408هـ - 1988م
3. ابن عبد البر، الاستذكار تحقيق: عبدالمعطي امين قلعجي، دار قتيبة ، دمشق ،دار الوعي حلب الطبعة: الأولى 1993م
4. ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت – لبنان الطبعة: الثالثة، 1983 م
5. أبو العرب محمد ، المحن، تحقيق، د عمر العقيلي ،دار العلوم، الرياض ،السعودية الطبعة: الأولى، 1404هـ - 1984م بدون
6. أبو العرب محمد ،طبقات علماء إفريقية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان.
7. أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، تحقيق، محمد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان الطبعة الثانية، 1988م
8. أبو عبد الله القيرواني، المؤنس في أخبار أفريقية وتونس، الطبعة الأولى، 1386.
9. أبو عبد الله المواق المالكي، التاج والإكليل لمختصر خليل، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1416هـ-1994م
10. حسن مكي، الحضارة الإسلامية ودوائرها ومشاربها، مجلة الإسلام في أفريقيا، معهد مبارك قسم الله للبحوث والتدريب، العدد السابع، الخرطوم،2016.
11. الحسين بن شواط ،مدرسة الحديث في القيروان، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض، الطبعة الأولى،1411هـ

12. الذهبي، تاريخ الإسلام، تحقيق بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي الطبعة: الأولى، 2003م.
13. الذهبي، سير أعلام النبلاء، الناشر: مؤسسة الرسالة. الطبعة : الثالثة ، 1405هـ / 1985م
14. الزركلي ، الأعلام، دار العلم للملايين الطبعة الخامسة عشر ، 2002م.
15. شهاب الدين السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى المحقق: جعفر الناصري/ محمد الناصري، دار الكتاب - الدار البيضاء.
16. الطيب محمد الطيب ، المسيد ،دار جامعة الخرطوم ،1991م
17. عبد القادر عثمان محمد ،العلاقات السودانية المغربية رؤية من خلال المذهب المالكي، الندوة العلمية الدولية للإمام الباجي ، السودان – الخرطوم – شوال 1435هـ - الموافق أغسطس 2014م.
18. عبد القادر عثمان محمد جاد الرب، التواصل المغربي الثقافي والاجتماعي مع سودان وادي النيل ،مجلة كلبة الآداب ، العدد السادس،2013م.
19. عبد المجيد عابدين ، تاريخ الثقافة العربية في السودان، بدون
20. علي محمد محمد الصلابي ،صفحات من التاريخ الإسلامي، الدولة الفاطمية، مكتبة الصحابة، الطبعة الأولى2007م.
21. القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، مطبعة فضالة - المحمدية، المغرب الطبعة: الأولى.
22. القرافي، الذخيرة تحقيق : محمد حجي ، دار الغرب، 1994م ،بيروت.
23. مجلة دراسات أفريقية، مركز البحوث والدراسات الإفريقية بجامعة أفريقيا العالمية، دار جامعة أفريقيا العالمية العدد20 يناير 1999
24. محمد النور ضيف الله، كتب الطبقات، تحقيق يوسف فضل حسن، ط الخامسة،2012م الخرطوم ، السودان.

25. محمد بن أحمد بن إسماعيل المقدم هويتُنا أو الهاوية، الدعوة السلفية بالأسكندرية، بدون
26. محمد بن الطرهوني، الحالة السياسية والاجتماعية من الناحية التاريخية لمنطقة المغرب العربي، بدون
27. محمد بن مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: دار الكتب العلمية، لبنان الطبعة: الأولى، 1424 هـ - 2003 م
28. مصطفي محمد مسعد، الإسلام والنوبة في العصور الوسطى، مكتبة الانجلو المصرية،1960م
29. المناوي ،التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق محمد رضوان، دار الفكر المعاصر، دار الفكر ، بيروت، دمشق الطبعة الأولى 1410